Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من شعره ، تعتبر « وثائق نفسية » يستطيع المولعون باتخاذ الشعر وثائق تصور نفسية الشاعر ، أن يتخذوا منها دليلا على حالة المتنبي الروحية والنفسية في تلك الظروف .

وقد نقلت نص هذه القصيدة كاملاً في فصل سابق من هذه الدراسة فتأملها معي ، لنواصل تذوقها من خلال منهج (الرؤية الفنية) .

وقد اشتهرت هذه القصيدة بأنها « الحمى » وهي بلا شك تصور مرض الحمى الذي أصاب المتنبي في مصر في عام ٣٤٨ من الهجرة . وفيها – دون ريب – أجمل الصور التي تجسد حالة المريض بالحمى ، ولكنها إلى جانب ذلك تصور نوعاً من الحمى النفسية والفكرية ، أصاب المتنبي في آخر أيامه في مصر . وإذا كان مرض الحمى قد كان يرعد جسمه ويغسله بالعرق في أوقات محدده ، فإن هذا النوع الآخر من الحمى النفسية والفكرية ، قد هز كل فكره وزلزل حلمه . وهز يقينه .

ثم هي تصور أيضاً ، أسوار عالم المتنبي ، التي أشرنا إليها في مطلع هـذه الدراسة . وهي « الحزن والطموح والتمرد والهروب من النفس » . اجتمعت كل هذه الأسوار الأربعة في هذه القصيدة .

ثم هي تجسد قبل هذا كله – هذا الصراع العاتي الذي كان يدور في داخل نفس المتنبي طوال خمسة أعوام ، قضاها في مصر راكداً يائساً ، ذليلاً منكسراً ، ولكنه كان يشعر بالتمرد والثورة والكبرياء . هذا الصراع بين الذلة والكبرياء ، بين الاستسلام والتمرد . بين التسليم والتأبي . كان يمور في باطن أبي الطيب عاتياً مدمراً . فجاءت هذه القصيدة لتجسده أعمق تجسيد .

وتأمل المشهد الأول وهو مكون من سبعة أبيات لتحس فداحة هذا الصراع :

ملومكمـــا يجـــل عـــن المـــلام ووقـــع فعـالـه فـوق الـكـــلام

هذا هو مطلع القصيدة ، ولا أعتقد أنه يخاطب صاحبيه انسياقاً مع هـذا التقليد العربي القديم في مخاطبة الصاحبين في مطلع القصائد . فهو يحس – بالفعل – في باطنه تيارين متناقضين يدويان في نفسه .

تيار الكبرياء والتأبي : يجلجل في أعماقه ساخراً من حزنه واستسلامه ! ! !

وتيار الذلة والانكسار يهمس في أعماقه ساخراً من تمرده وكبريائه .

وهو معذب بهذين التيارين معاً . معبر عنهما مصور لهما .

ولعل هذا الخطاب في بداية الشطر الأول « ملومكما » خطاب لهذين الصوتين وهو في الوقت نفسه خطاب لنفسه فهو « الملوم » منهما . فهو يحدثهما أنه فوق